الملك فهد إلى رحمة الله

١٣٤٣ - ١٤٢٦
١٩٢١ - ٢٠٠٥

■ ودعت السعودية والعالم العربي أمس الملك فهد بن عبدالعزيز، لم تكن وفاة الملك رحمه الله مفاجئة حيث إنه عانى من مرض ألم به لفترة ليست بالقصيرة.. لكن هذا لا يقلل من حقيقة أن السعودية جللها الحزن، واستبد بها شعور دفين بفقد قائد ظل أحد رموز الدولة لأكثر من أربعين سنة. بل إن العالم العربي سيفقد أيضاً بوفاة الملك فهد رمزاً من رموز المشهد السياسي العربي ولأكثر من ربع قرن، وتحديداً منذ عام ١٩٧٥م.. ارتبط اسم الملك فهد بأحداث وتحولات ومنعطفات كبيرة في الداخل السعودي، وعلى المستوى العربي.. على المستوى المحلي ارتبط اسم الملك بخطوات وتحولات كثيرة، يشار عادة إلى أبرزها مثل الإنجازات الكبيرة في التعليم، وأن الملك فهد كان عام ١٩٥٣ أول وزير للتعليم في تاريخ السعودية.. ثم هناك تنفيذ أضخم توسعة في التاريخ لكل من المسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي في المدينة المنورة.. لكن قبل ذلك وبعده تميزت فترة حكم الملك فهد بأنها شهدت أضخم وأسرع عملية تحديث اقتصادية واجتماعية في تاريخ السعودية.. لا يمكن في هذه المساحة تعداد المؤشرات الدالة على هذه العملية، لكن أبرزها الانقلاب الكبير الذي حصل للتركيبة الاجتماعية للمجتمع السعودي.. أخذت الأسرة الصغيرة تحل بشكل تدريجي لكن واضح محل الأسرة الكبيرة، نواة أساسية لبنية المجتمع.. ثم بروز ما يمكن تسميتها بالطبقة المتوسطة باعتبارها التشكيل الاجتماعي المهيمن على المجتمع السعودي بشكل لم يعرفه من قبل.

الأهم في هذا الإطار، وفي سياق عملية التحديث كان أهم وأخطر إنجازات الملك الراحل، وهو النظام الأساسي للحكم.. فبإصداره لهذا النظام عام١٤١٢هـ يكون الملك فهد هو أول من دشن البدايات الأولى لـ «اللحظة الدستورية» في التاريخ السياسي السعودي.. وبصدور هذا النظام تكون الدولة السعودية قد خطت الخطوة الأولى نحو الانتقال من مرحلة التقاليد الشفهية المتوارثة للحكم إلى مرحلة الدستور المكتوب.

عربياً ارتبط اسم الملك فهد بأهم الأحداث والتطورات التي وسمت تاريخ المنطقة منذ ١٩٧٥.. ففي عام ١٩٧٦ كان الأمير فهد، ولي العهد حينها، مهندس مؤتمر الرياض السداسي الذي صادق على دخول القوات العربية للفصل بين فرقاء الحرب الأهلية اللبنانية.. وكذلك أضفى ذلك المؤتمر الشرعية العربية على العلاقات الخاصة بين لبنان وسوريا.. شهد عام ١٩٨٢م مبادرة فهد لحل الصراع العربي الإسرائيلي على أساس الأرض مقابل السلام، وهي التي شكلت الخلفية التاريخية لمبادرة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز عام ٢٠٠٢، والتي أصبحت مبادرة عربية.. في مجال السياسة النفطية، وتحديداً عام ١٩٨٦م استبدل الملك فهد الاستراتيجية النفطية التي تقوم على أولوية الحصة في السوق، بأخرى تعتمد سياسة نفطية ترتكز على مستوى سعر النفط بشكل أساسي.. عام ١٩٨٩ استضاف الملك فهد مؤتمر الطائف الذي وضع أسس إنهاء الحرب الأهلية اللبنانية وتمخضت عنه «وثيقة الطائف».

بعد كل ذلك وغيره، سيبقى اسم الملك فهد مرتبطاً بأهم وأخطر قرار على المستويين السعودي والعربي، وذلك هو قرار الحرب عام ١٩٩٠م، وهو القرار الذي على أساسه تم استدعاء القوات الأجنبية، وخاصة القوات الأميركية، لتحرير الكويت من الاحتلال العراقي.. تكمن أهمية واستراتيجية هذا القرار في أنه وضع حداً لمغامرات الرئيس العراقي السابق صدام حسين في فرض هيمنته على المنطقة بقوة السلاح والتهديد.. بل إن هذه الأهمية تتجاوز ذلك في أن القرار وضع العرب أمام مفصل تاريخي يفرض الاختيار بين مقتضيات ما قبل وما بعد هذا التاريخ.. لأن تاريخ المنطقة بعد ١٩٩٠ أضحى بشكل جلي مختلفاً عما كان عليه قبله.. ومن هنا تأتي أهمية خطوة الملك في انه استجاب بشكل سريع لطبيعة اللحظة، وما فرضته من خيارات.. وقد اختار مواجهة التحدي حفاظاً على استقرار المملكة، واستقرار المنطقة، وحفاظاً على نظام التوازنات فيها، وهو النظام الذي استقرت عليه منذ وقت بعيد.. قرار الملك الراحل بمواجهة نظام كان وقتها يعتبر حليفاً للسعودية هو تعبير واضح وجلي عن التزام راسخ باستراتيجية المملكة.

كل ذلك يشير إلى أن أبرز ملامح حكم الملك فهد اكتسبت تميزها من طبيعة المرحلة التي شاءت الأقدار أن يكون هو أحد المساهمين في صياغتها محلياً وعربياً.. لكنها كانت متميزة أيضاً من خلال شخصية الملك، وطبيعة الدور الذي اضطلع به في السياق السياسي الذي كان يتحرك فيه.. هنا لابد من الإشارة إلى شيء جسّده الملك في سلوكه السياسي أثناء قيادته لدفة الحكم في المملكة.. وهو في ذلك استمرار لتقليد بقي سمة سياسية بارزة للحكم السعودي.. أقصد بذلك تبني سياسة معتدلة تقوم على واقعية، بمعنى أنها لا تصطدم مع الواقع إلا في حالات لا تترك خياراً آخر، واعتماد آلية الدبلوماسية الهادئة، مع التزام ثابت بالهدف الاستراتيجي للدولة.. هذه سياسة غير تصادمية، أو سياسة النفس الطويل، مع تركيز مستمر على الهدف النهائي.. دائماً هناك امكانية لحل ما، إما نهائي أو حل وسط. مثال ذلك ما حصل لمبادرة الملك فهد في قمة فاس عام ١٩٨١م.. حيث واجهت اعتراضات من بعض العرب، وخاصة سوريا.. تعامل الملك مع ذلك بهدوء، ودخل في مفاوضات استجاب في نهايتها لبعض تلك الملاحظات، ثم انتهى الأمر بتبني المبادرة عربياً عام ١٩٨٢.. أيضاً هناك التحالف السعودي السوري في هذا السياق، وهو تحالف لم يتزعزع حتى أثناء الحرب العراقية الإيرانية عندما كانت سوريا تدعم إيران، والسعودية تقف إلى جانب العراق كبلد عربي مجاور وفي حالة حرب.. استمرار التحالف رغم اختلاف المواقف تجاه الحدث نفسه عكس واقعية سياسية لدى الطرفين.. واقتناعاً مشتركاً بترابط مصالحهما في تلك اللحظة، بما يفرض استمرار التحالف.. وهذه واقعية واضحة التزم بها الملك الراحل في سياسته الخارجية.

هناك سمة أخرى للحكم السعودي اتضحت ليس فقط في سلوك الملك فهد، بل أيضاً في اللحظة التي انتقل فيها إلى الدار الآخرة، يرحمه الله.. وهي سمة الانتقال الهادئ والسهل والسريع للحكم.. كتب الكثير عن هذه المسألة.. وكانت الفكرة المركزية لأغلب ما كتب عنها في الخارج تحاول تأكيد أن هناك مشكلة خلافة في السعودية.. لكن الحقيقة أنه منذ رحيل المؤسس الملك عبدالعزيز عام ١٩٥٣م لم يحصل قط أن كان هناك مشكلة خلافه.. الملك فهد كان الملك الخامس للدولة السعودية في مرحلتها الثالثة.. دائماً كان الحكم ينتقل بسرعة وسهولة وهدوء.. هذا لا يعني أن العملية السياسية في هذا الموضوع كانت خالية تماماً من أية اختلافات حول هذا التفصيل أو ذاك.. لا.. لابد أنه كان هناك شيء من ذلك.. لكن هنا ملاحظة مهمة.. أن هذه الاختلافات، إن وجدت فهي لا تتعلق بالثوابت.. والملاحظة الأخرى تتعلق بآلية التعامل مع هذه الاختلافات ضمن هذا الإطار.. فالحكم السعودي ارتكز دائماً على آلية الإجماع فيما يتعلق بالحكم، وضرورة تحقيق هذا الاجماع حتى وإن تطلب ذلك بعض التضحيات.. بل ان سهولة انتقال الحكم وسرعته ولأكثر من نصف قرن الآن توحي بأن مسألة الاختلافات هذه مبالغ فيها من قبل البعض.. وأغلب من تحدث عن هذا الموضوع من الخارج لا يعرف عن السعودية وتاريخها السياسي الشيء الكثير.. بل الأسوأ أن حديث البعض عن خلافات واختلافات حول هذا الموضوع ربما يعبر عن رغبات دفينة أكثر منه تحليلاً يستند إلى معرفة قريبة بهذه المسألة وبتاريخها.

في الأخير رحل الملك فهد، ويخلفه الملك عبدالله بن عبدالعزيز وفقاً للمادة الخامسة من النظام الأساسي للحكم، وهي المادة التي أشرف الملك الراحل على صياغتها.. كانت ولادته عام ١٩٢١، وهو العقد الذي شهد آخر معارك توحيد الدولة سنة ١٩٢٩.. كان عمره عندما أعلن اسم المملكة عام ١٩٣٢م لا يتجاوز إحدى عشرة سنة.. وهذا يعني أنه يرحمه الله ينتمي إلى الصف الثاني من الجيل الأول الذي حكم في أعقاب رحيل المؤسس.. ارتبط الصف الأول، الملوك سعود وفيصل وخالد، بمرحلة تأسيس الدولة ومواصلة بنيانها، وارتبط اسم الملك فهد باعتباره أول من حكم من الصف الثاني بترسيخ بنيان الدولة وادخالها مرحلة الحداثة بدرجة لم تعرفها من قبل.. ولذلك سيبقى اسم الملك فهد علامة بارزة في تاريخ الدولة، وتاريخ المنطقة؛ كان رجل الاستمرارية في الدولة، لكنه كان أيضاً رجل التحديث فيها، كان صاحب قرار تحرير الكويت، أو قرار المواجهة عندما اقتضت اللحظة ذلك.. رحم الله الملك فهد رحمة واسعة.

الوداع الأخير للملك

د. خالد الدخيل

،، إن أبرز ملامح حكم الملك فهد اكتسبت تميزها من طبيعة المرحلة التي شاءت الأقدار أن يكون هو أحد المساهمين في صياغتها محلياً وعربياً.. لكنها كانت متميزة أيضاً من خلال شخصية الملك، وطبيعة الدور الذي اضطلع به ،،

مدائن

الملك فهد أحبّنا وأحببناه

د.عبدالعزيز جارالله الجارالله

■ أعي جيّدا لماذا بكيت بكاءً داخلياً ممزوجاً بالحنين لهذا الملك الراحل وأنا أسمع نعي الديوان الملكي بصوت وزير الإعلام الأستاذ إياد مدني وكيف احتبس صوته وتحشرج وذرف دمعة وهو يلقي النعي لشعبنا ،يبكيه بصوت الوزير المسؤول وانا ابكيه بصوت المواطن الذي أحبّ هذا الأب الملك الذي عاش معنا أكثر من ربع قرن ، يحبنا ونحبه يغمرنا بعطفه وننثني عليه حباً وطواعية، نحب هذا الملك لأنه أحبنا وأحبّ بلادنا أرضاً وشعباً ،أحب بلادنا تضاريس وناساً ،فكما بكى وزير الإعلام واحتبس صوته فإن شعبنا بكى مليكه بنهر من حنين .

وبرحيل الملك فهد طيّب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته نودّع مرحلة عمرية وتاريخية من حياة دولتنا الكبيرة.. والملك فهد يرحمه الله ارتبط مع هذا الجيل برابط عاطفي وتنموية عامر فقد عاش جيلي مع ولايته لحكم البلاد ونحن على مقاعد الدراسة الجامعية وكان في دواخلنا حلم كبير لخدمة هذا الوطن عندما نتخرج ونحصل على الشهادة الجامعية كان هناك نوع من الأمل فالوظائف كانت تمنحك الخيارات والتعليم العالي يفتح أبوابه للبعثات الخارجية وصندوق التنمية العقاري يعجّل في قروضه، والملك فهد يغدق علينا بالمكرمة الملكية بين الحين والآخر منذ أن كنا نصطف في طوابير أمام محاسب الجامعة لنحصل على مكافأة مضاعفة من الملك فهد واستمر بالمكرمة حتى بعد التخرج والتحقنا بالوظائف لنحصل على مكافأة التعيين (٥٠٠٠٠) خمسون ألف ريال لكل موظف جديد على الخدمة.

واستمرت عطاءات الملك فهد والمكرمة الملكية ليس لأن هناك خلل في التخطيط إنما كانت مقصودة من الملك فهد لشعبه ليوجد اللحمة والترابط وليؤكد قربه من هذا الشعب.. ويدرك ذلك الكثير من الموظفين عندما تُمدّد أيام الإجازة أو تختصر أيام الدراسة في رمضان لصالح الطلاب وأولياء الأمور ، وكان الملك فهد يقوم بهذا الواجب الوطني ليبني الروابط بينه وبين شعبه محبة لهذه الأرض ومحبة لهذا الشعب العريق.. كان يرحمه الله يحمل هموم وطنه محبة وانتماءً حتى تكالبت الأحداث العالمية من حرب العراق وإيران التي استمرت ١٠ سنوات والحرب اللبنانية الأهلية حتى المصالحة الوطنية والاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان ، وأخيراً -وهي الأزمة الكارثية- غزو العراق للكويت وحرب العراق الأخيرة.. هذه الكوارث التي كانت تدور على حدودنا الشمالية والشرقية أجهدت قلب ملكنا وعمّقت حزنه.

جيلي ممن كان على مقاعد الدراسة الجامعية في بداية ولاية الملك فهد عاش معه محبة وولاءً سيبكيه هذا الجيل بكاءً طويلاً وسوف يحزن عليه مراراً لأنه الأب والقائد والملك الذي فتح عين هذا الجيل على خيره وخططه وطموحه وما حققه لهذا الجيل من فرص الوظائف وفتح له باب الاستقرار الأسري بتسريع قروض صندوق التنمية العقاري وساهم في رفع مستوى الأداء التعليمي والتقني بفتح باب الابتعاث إلى أمريكا وأوروبا.. سيبكي هذا الجيل ملكه الذي عاش معه لأكثر من ربع قرن منذ أن تفتحت عيون هذا الجيل على هذه الدنيا والملك يرعاه ويعمل من أجله فلا غرابة أن ندخل في مرارة الحزن ونذرف الدموع على من عمل لأجلنا وشاركنا أفراحنا وأحزاننا ودفع حياته من أجل دينه ووطنه وشعبه رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه جنات النعيم وأن يجعل الله في الملك عبدالله وولي عهده الأمير سلطان الخير الكثير لديننا وأمتنا وشعبنا العظيم.

Jarallh@alriyadh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

صدق الله العظيم

تتقدم

هيئة تنظيم الكهرباء والإنتاج المزدوج

بأحر التعازي القلبية في وفاة

خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله تعالى

إلى كل من خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله

وصاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود ولي العهد حفظه الله

وإلى أبنائه

صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبدالعزيز

صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن فهد بن عبدالعزيز

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز

صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن فهد بن عبدالعزيز

صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز

وإلى الأسرة المالكة الكريمة وإلى أفراد الشعب السعودي النبيل وإلى الأمتين العربية والإسلامية

سائلين الله العلي القدير أن يتغمد الفقيد الغالي بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته

إنا لله وإنا إليه راجعون